المحاضرة الثالثة: الكوميديا (الملهاة)

01-التعريف

تُعرف الكوميديا بأنها نوع من أنواع الفنون الدرامية، وقد ظهرت تالية للتراجيديا، وهي نقيضه لها من حيث المضمون، فإذا كانت التراجيديا جادة؛ فإن الكوميديا ساخرة تعتمد على الفكاهة والإضحاك

وهي في الاصطلاح اللغوي " الملهاة " مسرحية هزلية.

أما أصل كلمة كوميديا " فيجمع بين كلمتي **(كوموس)** بمعنى احتفال أو موكب ريفي صاخب ومعربد، وكلمة **(أودي)** بمعنى أغنية من الأغاني والرقصات التي كانت تؤدى في أنحاء الريف الإغريقي إبان الحصاد، ولاسيما قطاف العنب المرتبط بعبادة **(ديونيسوس)** إله الخمر.

وقد جاء تعريف **(أرسطو)** للكوميديا شاملاً للتفاصيل المكونة للكوميديا، ويقول أنها: "محاكاة لأشخاص أردياء، أي أقل منزلة من المستوى العام، ولا تعني الرداءة هنا كل نوع من السوء والرذيلة، وإنما تعني نوعاً خاصاً فقط، هو الشي المثير للضحك، والذي يعد نوعاً من أنواع القبح، ويمكن تعريف الشي المثير للضحك بأنه الشيء الخطأ أو الناقص الذي لا يسبب للأخرين ألماً أو أذى، ولنأخذ القناع الكوميدي المثير للضحك مثالاً يوضح ذلك، ففيه قبح وتشويه، ولكنه لا يسبب ألماً عندما نراه".

ولم يكن مولد الكوميديا من فراغ؛ بل كان مرتبطاً بالمبررات الذي وجدت فيها التراجيديا مع اختلاف في الظرف والأسلوب فقط؛ لأن الكوميديا كما يرى فائز ترحيني: " أنها كانت أسلوباً تطور من الطقوس والاحتفالات **(الديونيسية)** -المشار إليها سابقاً - التي كانت تتضمن غناء وارتداء للأقنعة، وتشترك فيها جميع الطبقات والفئات، وقد لعب عنصر شعبية هذا الفن دوراً أساسياً في تشكيل الكوميديا وتطورها، فكان لجمهور النظارة دور هام في رسم خطوط الحدث الدرامي الكوميدي، فالفن الشعبي هو المميز للحدث الكوميدي؛ لأن الشاعر الكوميدي كان واحد من الشعب، وفنه كان موضع اهتمام المجتمع الأثيني كله"

وبذلك تكون الكوميديا اليونانية قد نشأت نشأة دينية، شأنها شأن التراجيديا،

ظهرت الكوميديا في بلاد اليونان، وربما كانت أسبق في الظهور في مدينة ميجارا، وفي المدن اليونانية في صقلية، ولكنها بلغت ذروتها في أثينا، وبخاصة في أواخر القرن الخامس وأوائل

القرن الرابع قبل الميلاد، وكان السبب في ذلك هو وضع المجتمع الأثيني في ذلك الوقت، فأثينا كانت تمر في ذلك الوقت بفترة من التخلخل الاجتماعي، الذي سببته الخسائر الاقتصادية والسياسية.

وقد تمخض كل هذا عن عدد كبير من المفارقات والمتناقضات، في حياة الأثينيين كانت موضوعا حدا ببعض المفكرين، لتأمل فيه بهدف التوصل إلى طرق معالجته كل ا للمسرحيات الكوميدية يطرح فيها الكاتب والفنان بطريقته، وكانت بالضرورة موضوعا متجددا المشاكل العامة واليومية للمجتمع الأثيني، بإلقاء ضوء ساخر يبرز المفارقات والتناقضات، عن طريق إثارة الضحك منها ومما ساعد على وصول المسرح الكوميدي إلى قمته في هذه الفترة، أن أثينا قد وصلت في تلك الفترة إلى ذروة تطورها الديموقراطي، الذي أتاح الفرصة الكاملة للمواطن الأثيني في التعرض للمشاكل، بهدف إلقاء ضوء بناء عليها بالصورة التي تروقه ، أما بالنسبة لطريقة الأداء، فقد كانت في البداية بدائية، وعبارة عن ألعاب شعبية ساخرة تشبه ألعاب السيرك، لقد اعترفت الدولة رسميا بمسابقات الكوميديا بين عاميي 488 – 487 ق.م.

2-شعراء الكوميديا

أ-أرستوفانيسAristophanes

ولد أرستوفانس عام 452 ق.م، في قرية أنكا، ولكنه اضطر إلى الرحيل إلى أثينا، عندما درات الحرب بين أثينا وأسبرطة، ويعتبر أرستوفانيس خير مثال لشعراء الكوميديا، لقد بدأ يقدم مسرحياته في الوقت الذي كان فيه الشاعر التراجيدي يوربيديس، يكتب مظهرا أسفه، لما حدث في حرب البلوبونيز ، وكانت الديموقراطية الأثينية، قد اضمحلت وضعفت، وكان أرستوفانيس يأسف لما حل بالبلاد ، ولكنه كان يختلف عن يوربيديس، لأنه كان يكره الديموقراطية الشعبية، وكان ينتمي للحزب الأرستقراطي، وكان الحزب الديموقراطي حزب الحكومة، والناقد الكوميدي بصفة خاصة، يجد جماله في نقد الحكومات الشعبية، كان أرستوفانس يجد في قرارة نفسه أن الحكم الديموقراطي حكم فاسد، فاستجاب فنه لمذهبه السياسي، فأخذ يوجه النقد الساخر العنيف، لهذا النظام الديموقراطي الذي جر على البلاد ببعض الانحلال السياسي والخلقي.

إن حياة أرستوفانيس غامضة أشد الغموض، وكل ما نعرفه أنه قدم أولى مسرحياته وهي (المتلذذون بالطعام(Banquetters) في المسابقة، ثم كتب حوالي 45 مسرحية، سمح له بالتسابق في 42

مسرحية ، ولم يبقى منها سوى 11 مسرحية، حصل على الجائزة الأولى في المسابقات التمثيلية عام 422 ق.م، كان عدوا للمرأة كثير النقد لها ولكنه في الكوميديا المشهورة ، (ليزيسترات) Lysistrate، يسخر من الرجل بقدر سخريته من المرأة، ويجد أن الرجل لا يقل سفاهة عن المرأة، فالمرأة تحاول بطريقتها الخاصة والمضحكة، أن تضع حدا للحروب ، وأن تقر السلام الدائم، ولكن الرجل بما فطر عليه من غرائز القتال، والشعور بالسيادة الطبيعية يعرقل مساعيها.

ب-ميناندر Ménandre

ولد حوالي عام 343 ق.م، وهو من أسرة ثرية من مدينة أثينا، عاصر أرسطو والإسكندر المقدوني في شبابه، تلقى علوم الفلسفة على يد ثيوفراستوس تلميذ أرسطو،

إن أهم ما يمتاز به ميناندر، هو الأسلوب الواقعي، الذي رسم به شخصيات مسرحياته، فمسرحه يعد أول مسرح واقعي في تاريخ الدراما، ومن ثم نجد فرقا أساسيا بين مسرحياته ومسرحيات أرستوفانيس، الذي كانت تقوم مسرحياته على الخيال، بينما التزم ميناندر الواقعية وذلك تبعا لتغير ظروف الحياة والمتفرجين، فحلت الابتسامة الهادئة محل الضحكات العالية، وحل الهدوء محل ضجيج المسرح. كما كان ميناندر متجها إلى الموضوعات الخلقية والعاطفية، يكتبها بأسلوب واقعي، حتى أن أحد النقاد كتب عن واقعيته يقول: (الحياة وميناندر أيكما صورة من الآخر)، والحقيقة أن ميناندر اتخذ من كتابة المسرحية، ومن مذهبه الواقعي وسيلة إلى مذهب السمو، بمعنى أن التصرفات التي كانت تصدر من شخصياته (قد تكون شاذة أحيانا).

لقد كتب ميناندر 105 مسرحيات، ولم تعرف المكتبات شيئا منها، ولكن الكتاب المتقدمين كانوا يستشهدون بأشعاره، ويقتبسون مسرحياته.

إن موضوعاته فيها جانب سياسي واجتماعي وديني، ولكن الظاهرة اللافتة، أن الحياة الأثينية اليومية، ممثلة في كتاباته أصدق تمثيل، وكتاباته كانت تدور حول الحب، ورسم الشخصيات المختلفة، كالعبيد والشيوخ والشباب والأطفال والنساء على المسرح، كما لو أنه في الشارع، سواء في حركتهم أو لباسهم. وكان يظهر عطفه على العبيد والفقراء، بحيث وضعه بعض النقاد، في مرتبة هوميروس، ويقول المؤرخ بلوتارخوس: "أن ميناندر كان في المرتبة التالية لهوميروس مباشرة".

لقد كان ميناندر يمثل مرحلة تطورية هامة، في تاريخ المسرح اليوناني، ففي عهده تطورت المسرحية، فهو يخلق شخصيات جديدة كل الجدة، تستطيع أن تؤدي أدوارها وحركاتها المسرحية أداء تاما، ولا سيما في حديثه عن البخيل واللئيم، والمرأة والحب وخاصة الزوجة الوفية.

المراجع:

- أنس أحمد الشامي، تاريخ المسرح الروماني ووظيفته (200ق.م –330 م) ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ الشرق القديم، جامعة دمشق،2019/2018.